

سورة الإسراء

﴿الآيات: 5 - 8﴾

الدرس

3

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف بعض أحوال بني إسرائيل وما حل بهم عند إفسادهم في الأرض.
- 2- أن أستنتج من الآيات أن مفتاح النصر طاعة الله والالتزام بتعاليم كتابه.
- 3- أن أعتبر بما يحل بالمفسدين في الأرض فألتزم بكتاب الله وأهتدي بهديه.

تمهيد

بعد ما أخبر الله تعالى بأنه أعلم بني إسرائيل قوم موسى عليه السلام في التوراة بقضائه فيهم بسبب إفسادهم وطغيانهم، جاءت هذه الآيات لتبين هذا الإفساد والطغيان، وما حل بهم من عقاب نتيجة ظلمهم وطغيانهم ومخالفتهم كتاب ربهم.

فماذا حل بهؤلاء القوم ؟ وكيف يكون ذلك عبرة للمفسدين في الأرض؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿بِإِذْ أَجَاءَ وَعْدُ الْوَلِيِّمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أَوَّلَ بَأْسٍ شَدِيدٍ
فَجَاسُوا خَلَا إِلَٰهِيًّا وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمَدَدْنَا لَكُمُ الْبَأْسَ الْوَلِيِّمَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ إِنْ أَسْلَفْتُمْ لَأُضَاعِفَنَّكُمْ
وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝٧﴾

لَمْ يَخْلُوكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَتَّبِعُوا مَا عُلِّمُوا تَتَّبِعُوا ۚ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ ۚ
وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

[سورة الإسراء: 5 - 8]

الفهم

الشرح :

بِأْسٍ	: البأس الشدة والمكروه.
أَكْثَرُ نَبِيرًا	: أكثر عددا.
وَلِيَتَّبِعُوا	: ليردوا الشيء فتاتا كتبر الذهب والحديد.
عُلِّمُوا	: غلبوا.
حَصِيرًا	: من الحصر فهو بمعنى السجن.

استخلاص المضامين :

- 1- متى كان عقاب الله الأول لبني إسرائيل؟
- 2- متى حل عقاب الله لبني إسرائيل في المرة الثانية؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: عاقبة المفسدين في الأرض:

بعد أن بين الحق سبحانه ما سيحدث من بني إسرائيل قوم موسى عليه السلام من إفساد في الأرض، وهذا من علم الله تعالى، ذكر هنا ما حل بهم من عقاب على إفسادهم في المرة الأولى

فقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا﴾ الضمير في قوله: ﴿أُولَئِهِمَا﴾ عائد على قوله: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: 4] وعبر عن الشر بالوعد، مع أن الأصل فيه أن يكون في الخير لوجود القرينة على ذلك وهي ذكر المعاقبة؛ إذ يجوز أن يستعمل الوعد في الشر إذا ما صاحبتة قرينة.

وقوله سبحانه: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادَ آلَئُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ قرأ الجمهور ﴿فَجَاسُوا﴾ بالجيم، وقرأ أبو السمال (فحاسوا) بالحاء، وهما بمعنى الغلبة والدخول قسرا ومنه الحواس، وقيل لأبي السمال: إنما القراءة (فجاسوا) بالجيم فقال (جاسوا وحاسوا) واحد. ﴿وَكَايَ وَمَعَادٍ مَبْعُوثًا﴾ أي: وكان حكم الله بذلك حكما جازما لا يقبل النقض ولا التبديل.

والمعنى: فإذا جاء وعد أولى المرتين من الإفساد سلطنا عليكم من عبيدنا أناسا جبارين للانتقام منكم، وخلينا بينكم وبينهم خاذلين إياكم بسبب ظلمكم وطغيانكم.

وقد اتعظ بنو إسرائيل في ذلك الزمان بما حدث لهم، وتابوا إلى ربهم، وعدلوا عن غيهم وضلالهم، فكان ذلك سببا لنصر جديد، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَا لَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِيٍّ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ فهذه الآية عبارة عما قاله الله لبني إسرائيل في التوراة، وجعل ﴿رَدَدْنَا﴾ موضع "نرد"؛ إذ وقت إخبارهم لم يقع الأمر بعد، لكنه لما كان وعد الله محققا لا شك فيه، عبر عن مستقبله بالماضي.

وهذه العودة إلى الحق، والتمكين في الأرض من جديد كان بعد الجلوة الأولى التي سبق الحديث عنها، فعاد لبني إسرائيل ملكهم، وحسنت حالهم برهة من الدهر، وأعطاهم الله الأموال والأولاد، وجعلهم إذا نفروا إلى أمر أكثر الناس. قال الطبري: معناه وصيرناكم أكثر عدد نافر منهم. قال قتادة: كانوا أكثر نفيرا في زمن داود عليه السلام.

وقوله: ﴿نَفِيرًا﴾ النفير يحتمل أن يكون جمع نفر ككلب وكليب، وعبد وعبيد، ويحتمل أن يكون فعلا بمعنى فاعل أي: وجعلناكم أكثر نافرا.

ثم عقب ذلك بوصيتهم فقال سبحانه: ﴿إِزْأَحْسَنْتُمْ وَأَعْسَنْتُمْ لَأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ والمعنى: أنكم بعملكم تؤخذون، لا يكون ذلك ظلماً ولا تسرعاً إليكم، فإن أحسنتم فإحسانكم لأنفسكم، ونفعه عائد عليكم، لا ينتفع الله منه بشيء، وإن أسأتم فعلى أنفسكم لا يتضرر الله بشيء منها، فهو الغني عن العباد، لا تنفعه طاعتكم ولا تضره معصيتكم.

ثانياً: ما حل ببني إسرائيل بعد فسادهم في المرة الثانية:

بعد ما بين القرآن الكريم إفساد بني إسرائيل في المرة الأولى وما لحق بهم بسبب ذلك من العذاب، ذكر هنا إفسادهم في المرة الثانية، فقال تعالى: ﴿بِأَنَّا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي: فإذا جاء وعد المرة الآخرة من المراتين المذكورتين، من إفسادكم، وجواب ﴿بِأَنَّا﴾ محذوف يدل عليه جواب إذا الأولى، تقديره: بعثنا عليكم عبداً أولي بأس شديد ﴿لِيَسْؤُوا وَجُوعَكُمْ﴾ اللام لام أمر، وقيل: لام كي، والضمير للعباد أولي البأس الشديد.

ثم قال تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: وليدخلوا مسجد بيت المقدس فيخربوه كما خربوه أول مرة ﴿وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلَوُا تَتْبِيرًا﴾ وتبر معناه رد الشيء فتاتاً كتبر الذهب والحديد ونحوه. وقوله: ﴿مَا عَلَوُا﴾ أي: ما غلبوا عليه من الأقطار وملكوه من البلاد، وقيل: ﴿مَا﴾ ظرفية، والمعنى مدة علوهم وغلبتهم على البلاد.

ثم فتح الله تعالى باب الأمل لبقية بني إسرائيل مرة أخرى، فقال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ عسى للترجي في حقهم، أي: عسى أن يرحمكم ربكم إن أطعتم في أنفسكم واستقمتم. و﴿عَسَىٰ﴾ تفيد الترجي في حقهم، وهذه العدة تعني أن يرحم المطيع منهم، وكان من الطاعة اتباعهم لعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

ثم أذرهم الله بقوله: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا﴾ أي: وإن عدتم إلى الإفساد والمعاصي مرة أخرى، عدنا إلى معاقبتكم بمثل ما فعل بكم في المراتين السابقتين، ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾، الحصير فعيل من الحصر، فهو بمعنى السجن أي:

يحصرهم، وبنحو هذا فسرره مجاهد.. وقال الحسن البصري: الحصر ما يفترش ويبسط كالحصر المعروف عند الناس، أي: جعلنا جهنم للكافرين مستقرا وسجنا دائما.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف الآيات إلى تحقيق جملة من المقاصد التربوية، منها ما يأتي:

- أن طاعة الله عز وجل والاستجابة لأمره هو سبيل السعادة في الدنيا والفلاح والفوز في الآخرة.
- أن الشرائع السماوية كلها تأمر بعمارة الأرض وإصلاحها بفعل الخير ونفع الناس ومساعدتهم، وتنتهي عن الفساد والإفساد فيها بالظلم والطغيان والاعتداء على الناس وسفك دمائهم.
- أن الإفساد في الأرض يعرض المفسد إلى عقوبة الله تعالى، وأن جزاءه يكون مناسبا لجنس عمله. والتوبة إلى الله والعودة إلى طاعته تكون سببا للنصر والتمكين.
- تحذير المخاطبين بالقرآن الكريم من سلوك سبيل من سبقهم من الأمم التي خالفت أمر ربها وكتابه، فحل بها ما حل من العذاب. وهذه أهم فائدة من فوائد قصص القرآن.
- أن ثمرة إحسان المرء وإصلاحه في الأرض ترجع إليه، وإساءته وإفساده في الأرض يعود عليه؛ لأن الله عز وجل غني عن العالمين، لا تتفعه طاعة ولا تضره معصية.
- أن القرآن الكريم لم يذكر متعلق الإحسان ولا نوعه، في قوله: ﴿إِذَا أَحْسَنْتُمْ أُحْسَنْتُمْ ۖ إِنَّ نَفْسَكُمْ﴾ ليشمل الإحسان إلى النفس وإلى الغير، وإلى الإنسان والحيوان والكون كله، مما يعني أن الإسلام يدعو إلى مطلق فعل الخير كيفما كانت طبيعته.

- أن رحمة الله تعالى واسعة؛ حيث كرر الإحسان مرتين فقال: ﴿إِذَا أَحْسَنْتُمْ أُحْسَنْتُمْ ۖ إِنَّ نَفْسَكُمْ﴾ واقتصر على ذكر الإساءة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ آسَأْتُمْ فَلَقَاءَ﴾ ثم أتبعها بقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ فوعد عباده بالرحمة كلما تابوا إلى الله وأنابوا إليه.

التقويم

- 1 - ما سبب عقاب الله لبني إسرائيل في الدنيا؟
- 2 - لماذا وقع التعبير بالماضي في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا﴾ مع أن المقام مقام المضارع؟
- 3 - ماذا يمكن أن نستنتج من قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ ؟
- 4 - ما هي المقاصد التربوية للقصة الواردة في الآيات ؟

الاستثمار

أرجع إلى تفسير ابن عطية رحمه الله، ثم أستخلص منه أقوال العلماء في قول الله تعالى:
﴿عِبَادَ النَّارِ أَتُؤْمِنُونَ بِأَنَّا شَدِيدٌ﴾ [سورة الإسراء: 5].

الإعداد القبلي

- أتأمل الآيات: 9 - 12 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:
- 1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: يَهْمِي - أَعْتَدْنَا - آيَتَيْنِ - فَعَوْنًا آيَةَ الْيَلِ - وَصَلْنَاهُ تَفْصِيلًا.
 - 2 - أبحث عن صفات القرآن الكريم الواردة في الآيات.
 - 3 - أوضح معنى ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ مع بيان ما فيها من نكتة بلاغية.